وصايا وحِكَم من نهج الإمام الباقر عليه السلام

الأستاذ الدكتور
عبد الرحمن إبراهيم حمد الغنطوسي
الجامعة العراقية – كلية التربية
q_mazin@yahoo.com

المقدمة:

إن مكانة أهل البيت من التاريخ والأدب واللغة مكانة الرأس من الجسد فهم من ثوابت الفكر الإسلامي ومجده ورمز شخصيته وسر بقائه، وقد أمر الله أمة الإسلام على لسان رسولها أن تتمسك بسند مروياتهم وأخبارهم وحكمهم لأنها شرفا وذكرا بين الأمم، وتكمن أهمية بحثنا كونه يدور حول الحديث عن دور شخصية لها إسهامها العلمي والحضاري والأدبي، ومن أدب العلم تكريم رجاله وبيان صورهم ووصايهم وحكمهم وحياتهم وبيئتهم وقد وقع الاختيار على علم من أعلام الأئمة جمع من العلوم والفنون ما تفرقت في غيره من الأئمة و العلماء هو الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام وهو من أبرز من خلدتهم الإنسانية في جميع مراحل تاريخها. ومن أروع من ظهر على صفحات التاريخ من العظماء والحكماء الذين ساهموا في بناء الفكر الإنساني ضمن سلسلة آل البيت الذهبية عليهم السلام، لتكوين الحضارة الاجتماعية، وبلورة القضايا المصيرية لجميع شعوب الأرض. إن الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام من ألمع القادة المصلحين والمفكرين الذين حققوا المعجز على مسرح الحياة، وقادوا المسيرة الانسانية نحو أهدافها وآمالها، ودفعوا بها إلى ايجاد مجتمع متوازن تتحقق فيه الفرص المتكافئة التي ينعم فيها الناس على اختلاف قومياتهم وأديانهم... لقد كان الامام من أكثر الأئمة، علما وعطاء، فقد انطلق إلى ساحات الفكر مع كوكبة من أهل بيته وأصحابه، ليقيم في ربوع هذا الشرق حكم القرآن وعدالة السماء الهادفة إلى محاربة الظلم، وتدمير الجور، وإزالة الاستبداد، واقامة حكم عادل يجد فيه الانسان أمنه وكرامته ورخاءه حسب ما تقتضيه عدالة الله في الارض... ومن ثم كانت حياة الامام الباقر في جميع العصور والاجيال رمزا للعدل، ورمزا لجميع القيم الانسانية. إن أغلب حياة المصلحين الذين وهبوا حياتهم لأممهم وشعوبهم تبقى مشعة تعطى ثمارها

ونتاجها للناس.

أهداف البحث:

١- توضيح أهمية حكم ووصايا الامام الباقر بالمفاهيم التربوية والنفسية المتصلة به.

٢- تقديم صورة من نماذج علوم الامام عليه السلام التي يمكن التركيز عليها في رفع المعاناة والآفات الفكرية من اذهان الناس، والتي تساعد المجتمع لمواجهة الصعوبات

أهمية البحث:

يأمل الباحث إذا ما تحققت أهداف البحث وأخذ بنتائجه أن يؤدي إلى: تطوير أداء المجتمع والعيش الأفضل لهم وتقليل نسب الجهل، و فتح الباب أمام المزيد من البحوث والدراسات العلمية في مجال تحقيق المستوى المطلوب لحياة ومعيشة المجتمع.

منهج البحث:

اعتمد الباحث المنهج الوصفي التحليلي الذي يعنى بوصف الظاهرة وجمع الحقائق والمعلومات والملاحظات عنها وتقرير حالتها كما هي، وتقديم التفسير والتحليل للبيانات التي تم تجميعها وتبويبها.

خطة البحث

في هذا البحث سيقف القارئ الكريم على جوانب وصور مهمة من وصايا وحكم الامام الباقر عليه السلام، وبيان القيم الإنسانية ومساهمتها في بناء المجتمع ودورها في تطوره وانتعاشه، ولقد كان هذا الموضوع موضع اهتمام الباحث منذ زمن، لذا اقتضت طبيعة البحث أن يقسم على المباحث الآتية إن شاء الله تعالى. المبحث الأول: حياة الإمام الباقرعليه السلام وبيان آثاره وكان المبحث الثاني منهج الامام الباقر وآل البيت عليهم السلام في معالجة حاجات المجتمع وتحقيق القيم المثلى للإنسان: وأما المبحث الثالث تناولنا فيه: المبحث الثالث: نماذج تطبيقية من حكم ووصايا الإمام الباقر عليه السلام وهي من أهم متطلبات تكريم الإنسان للمحافظة على نعمة الأمن والاستقرار وفي هذا الصنيع تجلية للحق وإعانة لطالبيه على فهمه والتمسك به.

المبحث الأول

حياة الإمام الباقر عليه السلام وبيان آثاره

الامام الباقر بن الامام زين العابدين بن الامام أبي عبد الله الحسين سيد الشهداء، وخامس أصحاب الكساء، وسبط خاتم النبيين والمرسلين، وابن أمير المؤمنين، وسيد الوصيين، على بن أبي طالب، صلى الله على رسوله وعليهم أجمعين. كانت ولادة الامام الباقر يوم الاثنين ٥٧هـ واسمه محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، الهاشمي القرشي، أبو الحسن[١]، وأبو جعفر الباقر كان ناسكا عابدا، له في العلم وتفسير القرآن الكريم آراء وأقوال ولد بالمدينة وتوفي بالحميمة سنة ١١٤هـ. ودفن بالمدينة[٢] وقال ابن دحية. قال أبو عبد الله بن الحاج رحمه الله تعالى في المدخل: فإن قال قائل: ما الحكمة في كونه ﷺ خص مولده بشهر ربيع وبيوم الاثنين على الصحيح المشهور عند أكثر العلماء، ولم يكن في شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن وفيه ليلة القدر، واختص بفضائل عدة، ولافي الأشهر الحرم التي جعل الله لها الحرمة يوم خلق السموات والأرض، ولا في ليلة النصف من شعبان، ولا في يوم الجمعة ولا في ليلتها؟ فالجواب من أربعة أوجه: الأول:[٣] ما ورد في الحديث من أن الله تعالى خلق الشجر يوم الاثنين. وفي ذلك تنبيه عظيم وهو أن خلق الأقوات والأرزاق والفواكه والخيرات التي يمتد بها بنو آدم ويحيون ويتداوون وتنشرح صدورهم لرؤيتها وتطيب بها نفوسهم وتسكن خواطرهم عند رؤيتها لاطمئنان نفوسهم لتحصيل ما يبقي حياتهم، على ما جرت به حكمة الحكيم سبحانه وتعالى. فوجوده ﷺ في هذا الشهر في هذا اليوم قرة عين بسبب ما وجد من الخير العظيم والبركة الشاملة لأمة محمد ﷺ. الوجه الثاني: أن ظهوره ﷺ في شهر ربيع فيه إشارة ظاهرة لمن تفطن لها بالنسبة إلى اشتقاق لفظة ربيع إذ أن فيه تفاؤلا حسنا وبشارة لأمته ﷺ. وقد قال الشيخ الإمام أبو عبد الرحمن الصقلي رحمه الله تعالى: لكل إنسان من اسمه نصيب. هذا في الأشخاص وكذلك في غيرها، وإذا كان كذلك ففصل الربيع فيه تنشق الأرض عما في باطنها من نعم المولى سبحانه وتعالى وأرزاقه التي بها قوام العباد وحياتهم ومعايشهم وصلاح أحوالهم، فتنفلق الحبة والنوى وأنواع النبات والأقوات المقدرة فيها، فتبهج الناظر عند رؤيتها وتبشره بلسان حالها بقدوم ينعها. وفي ذلك إشارة عظيمة إلى الاستبشار بابتداء نعم المولى سبحانه وتعالى، ألا

ترى أنك إذا دخلت إلى البستان في مثل هذه الأيام تنظر إليه كأنه يضحك لك، وتجد زهرة كأن لسان حاله يخبرك بما لك من الأرزاق المدخرة والفواكه. وكذلك الأرض إذا أبهج نوارها كأنه يحدثك بلسان حاله كذلك أيضا. وقد بكى الإمام الباقر "سلام الله عليه" يوما ثم قال: وعزتك وجلالك، ما أردت بمعصيتي مخالفتك، وما عصيتك إذ عصيتك وأنا بك شاك، ولا بنكالك جاهل، ولا لعقوبتك متعرض، ولكن سولت لي نفسي وأعانني على ذلك سترك المرخى به علي. فأنا الان من عذابك من يستنقذني، وبحبل من أعتصم إن قطعت حبلك عني؟! فواسوأتاه غدا من الوقوف بين يديك إذا قيل للمخفين: جوزوا، وللمثقلين: حطوا! أمع المخفين أجوز، أم مع المثقلين أحط؟ ويلي ! كلما طال عمري كثرت خطاياي ولم أتب، أما آن لي أن أستحيي من ربي؟!. ثم بكى عليه السلام وأنشأ يقول شعرا: أتحرقني بالنار يا غاية المنى فأين رجائي، ثم أين محبتي؟! أتيت بأعمال قباح ردية وما في الورى خلق جنى كجنايتي ثم بكى وقال: سبحانك تعطي كأنك لا ترى، وتحلم كأنك لم تعص، تتودد إلى خلقك بحسن الصنيع كأن بك الحاجة إليهم، وأنت يا سيدي الغني عنهم، ثم خر عليه السلام إلى الأرض ساجدا. فما أجدر بالعبد أن يرى نفسه أنه في كل شئ فقير لله "عزّ وجل"، آيب إليه في كل وقت، وافد عليه على كل حال، لا يرى في راحلته إلا الخطايا، فينزل ضيفا ساغبا ظامئا عند بارئه "جل شأنه"، يائسا مما يملك، آملا واثقا بما عند المضيف الكريم. ولقد أنشأ مولانا الإمام الباقر عليه السلام يقول: وفدت على الكريم بغير زاد من الحسنات والقلب السليم وحمل الزاد أقبح كل شيء إذا كان الوفود على الكريم ولقد كان علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام لا يسافر إلا مع رفقة لا يعرفونه، ويشترط عليهم أن يكون من(٤).

فمولد النبي الكريم صلى الله عليه وآله في شهر ربيع فيها من الإشارات. وذلك إشارة ظاهرة من المولى تبارك وتعالى إلى التنويه بعظيم قدر هذا النبي الكريم صلى الله عليه وآله، وأنه رحمة للعالمين. وبشرى للمؤمنين.(٥) والروايات تذكر أنه من مصادر علوم أهل البيت عليهم السلام، وأنه من المعارف الالهية التي نزلت في بيت النبوة مما سوى القرآن الكريم). وهي الكتاب الملهم من قبل الله تعالى إلى الزهراء المرضية. نحن نفخر أن يكون من المسلمين باقر العلوم (باقر العلوم، هو الإمام محمد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبى طالب عليه سلام الله (توفي سنة ١١٤هـ) ولقب بالباقر أو باقر العلوم، ويكنى أبا جعفر، أو جعفر الأول، من أئمة أهل البيت، أتيحت له فرصة نشر علوم الإسلام، فأسس مدرسة أهل البيت في الأصول

والفروع، وواصل هذه المهمة ابنه الصادق. وعن ابن نعيم في الحلية أنه سأل رجل ابن عمر عن مسألة فلم يدر ما يجيبه. فقال: اذهب إلى ذلك الغلام فسله وأعلمني بما يجيبك. وأشار إلى الباقر عليه السلام فسأله فأجابه، فأخبر ابن عمر، فقال: إنهم أهل بيت مفهمون). الشخصية السامية على مر التاريخ، والذي ما أدركه، ولن يستطيع إدراكه سوى الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله.، كان أشهر أهل زمانه علماً وفضلاً. قال مالك بن أنس إمام المذهب: "ما رأت عين ولا سمعت أذن ولا خطر على قلب بشر أفضل من جعفر بن محمد فضلاً وعلماً وعبادة وورعاً. وكان كثير الحديث طيب المجالسة كثير الفوائد". وتخرج على يديه من الفقهاء والعلماء جم غفير. وفقهنا ببحره الزاخر واحداً من آثاره، ونفخر بكل الأئمة المعصومين عليهم صلوات الله وملتزمون بإتباعهم. لأنه كان معاصرا للحسن ابن أبي الحسن يسار البصري المولود سنة ٢١ ه والمتوفى سنة ١١٠هـ، وكان كل منهما في عصر الامام أبي جعفر الباقر - عليه السلام - المولود ثاني صفر سنة ٥٧هـ، والمتوفى سابع ذي الحجة سنة ١١٤هـ حيث إن وفاة الامام الباقر عليه السلام كان في سنة ١١٤هـ[٦]. وقد روى عن (الباقر عليه السلام معالم الدين بقايا الصحابة ووجوه التابعين ورؤساء فقهاء المسلمين والده الملقب بزين العابدين: رابع الأئمة، وأحد من كان يضرب بهم المثل في الحلم والورع. الإمام السجاد علي بن حسين عليه السلام خامر قلوبنا الأمل والرجاء في ذكره، ويعلمنا التوبة والعبودية الرفيعة، ففي دعاء مكارم الأخلاق قال الإمام السجاد عليه السلام في صحيفته المباركة: اللهم صل على محمد وآله وإذ تعذرت المعرفة اليقينية بنفر كل واحد إلى النبي ليتفقه في الدين فلم يجب، رخص الله تعالى لهم لتحصيل تلك الغاية - اعني التعلم - بأن ينفر طائفة من كل فرقة. والطائفة المتفقهة هي التي تتولى حينئذ تعلم الباقين من قومهم بل انه لم يكن قد رخصهم فقط بذلك وإنما اوجب عليهم ان ينفر طائفة من كل قوم، مضافا إلى أن أصل التعلم واجب عقلي كما قررنا. كل ذلك شواهد ظاهرة على وجوب تفقه جماعة من كل قوم لأجل تعليم قومهم الحلال والحرام.، وبلغ بإيماني أكمل الإيمان، واجعل يقيني أفضل اليقين، وانته بنيتي إلى أحسن النيات، وبعملي إلى أحسن الأعمال. اللهم وفر بلطفك نيتي، وصحح بما عندك يقيني، واستصلح بقدرتك ما فسد مني[٧] يقال له: "علي الأصغر" للتمييز بينه وبين أخيه "علي" الاكبر، مولده ووفاته بالمدينة. أحصي بعد موته عدد من كان يقوتهم سرا، فكانوا نحو مئة بيت. قال بعض أهل المدينة: ما فقدنا صدقة السر إلا بعد موت زين العابدين. وقال محمد بن إسحاق: كان ناس من أهل المدينة.

يعيشون، لا يدرون من أين معايشهم ومآكلهم، فلما مات علي بن الحسين فقدوا ما كانوا يؤتون به ليلا إلى منازلهم. وليس للحسين " السبط " عقب إلا منه. أبو، علي "الأكبر"[٨]. والإمام السجاد أعرف من أن يعرف، وأحد من كان يضرب بهم المثل في الحلم والورع.، وتجلت فيه الفضائل المنبثقة من الورع والرحمة: يصلى لله في اليوم والليلة ألف ركعة. لهذا سمي " السجاد ". إذا توضأ اصفر لونه وإذا قام أرعد من الفرق. ولما سألوه قال: أتدرون من أريد أن أقف بين يديه ومن أناجي[٩]."السجاد" يطوف بالبيت فيركع، ويسجد، فإذا مكان سجوده قد بلله الدمع.. يقول عنه الحسن البصري: (ذلك الذي يشبه كلامه كلام الأنبياء) مولده ووفاته بالمدينة. أحصي بعد موته عدد من كان يقوتهم سرا، فكانوا نحو مئة بيت. قال بعض أهل المدينة: ما فقدنا صدقة السر إلا بعد موت زين العابدين. وقال محمد بن إسحاق: كان ناس من أهل المدينة، والامام الباقر عليه السلام حدث عن والده الإمام علي بن الحسين عليه السلام وكانت له له دعوات يدعو بهن وكان من دعائه اللهم إني أسألك سلوا عن الدنيا وبغضا لها ولأهلها فإن خيرها زهيد وشرها عتيد وجمعها ينفذ وصفوها يرنق وجديدها يخلق وخيرها ينكد وما فات منها حسرة وما أصيب منها فتنة إلا من نالته منك عصمة أسألك اللهم العصمة منها ولا تجعلنا كمن رضي بها واطمأن إليها فإن من أمنها قد خانته ومن اطمأن إليها قد فجعته فلم يقم في الذي كان فيه منها ولم يظعن به عنها أحصى للعذاب ومنزلته وموت بالعذاب وشدته فلا الرضا له بقي ولا السخط منه نسي انقطعت لذة الإسخاط عنه وبقيت شقوة الانتقام منه فلا خلد في لذة ولا سعد في حياة ولا نعشة بموت ولا نفسه أحببت بشره أعوذ بك اللهم من مثل عمله ومثل مصيره ثم قال كم لي من ذنب وسرف بعد سرف قد ستره ربي وما كشف ثم قال أجل ستر ربي فيه العورة وأقال فيه العثرة حتى أكثرت فيه من الإساءة وأكثر ربي فيها من المعافاة وحتى أني لأخاف أن أكون مستدرجا إني لأستحيي من عظمته أن أفضي إليه بما أستخفي به من عبد له وبما أنه ليفضح من هو خير مني فيما هو أدنى منه ثم ما كشف ربي لي فيه سترا ولا سلط علي فيه عدوا فكم له في ذلك من يد ويد ما أنا إن نسيتها بذكور وما أنا إن كفرتها بشكور وما ندمت عليها إذ لم أعتبك منها رب لك العتبى بما تحب وترضى فهذه يدي وناصيتي مقر بذنبي معترف بخطيئتي إن أنكرها أكذب وإن اعترف بها أعذب و إذا أردنا أن نستجمع خصائص الأخلاق الإسلامية قلنا: إنها منطوية على المعاني الإلهية والخصائص الإنسانية الشريفة التي يرضاها

الله "جلّ جلاله"، والتي تأخذ بيد العبد إلى الواقع في معاملات يومية، وتخرجه من أطر النظريات الخيالية والفكر الجامدة، والتوهمات الفاقدة للحياة العملية. فأخلاق الدين ليست كلمات يحسن المرء التكلم بها والتعبير عنها بمنطق جذاب رصين، إنما هي حالات تنبع في القلب وتظهر على الجوارح، وهي مثل سامية مغموسة بالإيمان والتقوى، ومشفوعة بالنية الصادقة السليمة، ومنعكسة على الأقوال والأفعال. وتطبيقا لما سلف على الضيافة - باعتبارها خلقا طيبا كريما - نرى أنها منطوية على الإيمان بالله تعالى واليوم الاخر، جاء في حديث نبوي شريف: من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليكرم ضيفه.

خدم الرفقة فيما يحتاجون إليه. فسافر مرة مع قوم فرآه رجل فعرفه، فقال لهم: أتدرون من هذا؟! فقالو: لا، قال: هذا علي بن الحسين عليه السلام. فوثبوا فقبلوا يده ورجله، وقالوا: يا ابن رسول الله! أردت أن تصلينا نار جهنم لو بدرت منا إليك يد أو لسان، أما كنا قد هلكنا آخر الدهر؟ ! فما الذي يحملك على هذا؟ فقال: إني كنت قد سافرت مرة مع قوم يعرفونني، فأعطوني برسول الله صلى الله عليه وآله ما لا أستحق به، فإني أخاف أن تعطوني مثل ذلك، فصار كتمان أمري أحب إلي[١٠]. وهكذا عباد الله " يخدمون ضيوفه الكرام في الطاعات، ويستضيفون الناس يعينونهم على ذكر الله وتمجيده واستنزال بركاته، وهاطل رحماته. (ضيافة الله في المدينة المنورة) لقد دعا الله "عزّ وجل" عباده الى ساحة طاعته، ومأدبة ضيافته.. وهي الضيافة التي تقتضي من العبد أن يعظم فيها[١١] صوتك تشتاقه ملائكتي فحسبك الصوت قد سمعناه وكان الأمام زين العابدين عليه السلام إذا قام في صلاته غشي لونه لون آخر، وكان قيامه في صلاته قيام العبد الذليل، بين يدي الملك الجليل.. وكان إذا توضأ للصلاة اصفر لونه، فيقول له اهله: ما الذي يغشاك؟ !فيقول: أتدرون لمن أتأهب للقيام بين يديه؟ ! وإذا كان أحد الشعراء يفتخر في لقائه بالله " تعالى " في الصلاة، وضيافته عنده في كل وقت فيقول: أنا ألقاه متى وحين أحب.. فإن معرفة آداب اللقاء وما يليق بالضيف في محضر القدس أمر مهم، لأن المضيف هو الله الملك الجبار، القادر المقتدر " سبحانه جل وعلا ". ومن هذه الاداب: التلبية لندائه " تعالى "، إذا قال المؤذن: " الله اكبر " يفزع العبد إلى الصلاة وقد استعد لها بالوضوء [١٢] وفي بيان أوجه الصوم قال الإمام زين العابدين عليه السلام: وأما صوم الإذن: فإن المرأة لا تصوم تطوعا إلا بأذن زوجها، والعبد لا يصوم إلا بإذن سيده، والضيف لا يصوم تطوعا إلا بإذن وفي بيان أوجه الصوم قال الإمام زين العابدين

عليه السلام: وأما صوم الإذن: فإن المرأة لا تصوم تطوعا إلا بأذن زوجها، والعبد لا يصوم إلا بإذن سيده، والضيف لا يصوم تطوعا إلا بإذن حيث ضيافة الأجداث، وحيث الأهوال والمساكن الرهيبة. وكل ذلك يراد له دعاء صادق، يعقبه عمل صالح.. وكل ذلك يفتقر إلى توبة نصوح وندامة، ونفس لوامة. فلنتأمل بقلوبنا وعقولنا وأسماعنا في ما يقوله والده زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام: اللهم صل على محمد وآله، واكفنا طول الأمل، وقصره عنا بصدق العمل، حتى لا نؤمل استتمام ساعة بعد ساعة، ولا استيفاء يوم بعد يوم، ولا اتصال نفس بنفس، ولا لحوق قدم بقدم. وسلمنا من غروره، وآمنا من شروره، وانصب الموت بين أيدينا نصبا، ولا تجعل ذكرنا له غبا[١٣]. واجعل لنا من صالح الأعمال عملا نستبطئ معه المصير اليك، ونحرص له على وشك اللحاق بك، حتى يكون الموت مأنسنا الذي نأنس به، ومألفنا الذي نشتاق إليه، وحامتنا التي نحب الدنو منها. فإذا أوردته علينا، وأنزلته بنا، فأسعدنا به زائرا، وآنسنا به قادما، ولا تشقنا بضيافته، ولا تخزنا بزيارته، واجعله بابا من أبواب مغفرتك، ومفتاحا من مفاتيح رحمتك. الكعبة فكانوا يطوفون بها عراة ويقولون: لا نطوف عليها في ثياب أصابتنا فيها المعاصي، وكلما طافوا بها شوطا سجدوا لها، فظهر كفرهم بسبب ذلك ظهورا لا يتمكنون من دفعه، فكأنهم شهدوا به على أنفسهم،

المبحث الثاني

منهج الإمام الباقر عليه السلام في معالجة حاجات المجتمع وتحقيق القيم المثلى للإنسان

من نهج الإمام الباقر عليه السلام نفهم أنوار الهداية وأعلام الرشد وينابيع الحكمة وقوام الأمة وإدلاء الخلق إلى الحق وقادتهم إلى نهج الصواب والصدق، والحمد لله الذي جعل أمّتنا -أمّة الإسلام- خيرَ أمّة، وأرسل فيها أكرم وأرفق رسول ومن رفقه ولينه صلى الله عليه وآله وصفه الباري عز وجل بقوله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ لقد كانت مهمة آل محمد - صلى الله عليه وآله - بمنهجهم الوسطي المعتدل هو القضاء على النظام القبلي المتطرف وأن يجعلوا الرحمة محل القسوة والمؤاخاة بدل البغضاء والعدالة محلة القوة الخالصة". وهذه هي ركائز الإسلام التي دعا إليها الرسول الكريم صلى الله عليه وآله، ومن آثاره عليه السلام الفكر والنهج المعتدل. لذا وجب على كل صاحب لب إن يحتاط من الأفكار الهدامة للمجتمع فلابد من يحمل حصافة

العقل أن تتولد عنده أداة النظر والاستدلال والتمييز، وأن يحمل أداة التباين وجزالة الرأي. جميع هذه الأدوات مرتبطة فيما بينها وقد خلصت أن لا يكون دور الإنسان المسلم هو التنحي جانبا إذ ليست المسألة بهذه البساطة. وخلاصة القول إن وظيفة الحكم للعلماء والدارسين والباحثين الأجلاء وقد بينوا ذلك [١٤]، روى الحافظ القندوزي "الحنفي" قال: روى عن هاني عن الباقر (رضي اللّه عنه) في قوله تعالى: ﴿فَلاأُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ﴾ قال: الخنس أمام يخنس أي: يرجع من الظهور الى الغيبة سنة ستين و مائتين، ثم يبدو كالشهاب الثاقب.(أقول) الخنس بمعنى الاختفاء، و تفسير الآية وارد في النجوم التي يختفي في وقت اختفائها، و تأويلها وارد في الامام المهدي عليه السلام، لأنّه يختفي حيث يأمره اللّه بالاختفاء، و يظهر - كالشهاب الثاقب - حيث يأمره اللّه بالظهور، و هذا الحديث الشريف من معجزات الامام الباقر و اخباره عن المغيبات، و فعلاً كانت الغيبة قد ابتدأت سنة مائتين و ستين للهجرة أي أكثر من مائة سنة بعد وفاة الامام الباقر عليه السلام وفي حياته مناقب كثيرة وفي نهج الإمام الباقرع الفكري دلالة الوسطية وسيظهر ذلك جليا في منظور نهجه من خلال الوصف والتحليل وكلام الآل الأخيار عليهم السلام وأحيا في خطاباته منهجاً وسطيا سلوكياً متوازناً لكل شباب الإسلام مبيناً فيه آفات الشباب الخلقية من حقد وغل، وكراهية وظلم، من خلال ثوابت الأسس التربوية التي أوردناها في بحثنا هذا، وقد تبين لنا أن سمت آل البيت عليهم السلام هو الذي يصلح الخلل الحاصل عند الأفراد والجماعات، ولقد كنا حريصين على اعتماد منهج مطرد في البحث كله، وهو تحليل النص ولأن مجال المنهج التربوي هو المقصود في البحث وقد ركزنا في ثنايا بحثنا هذا على تتبع الآثار الواردة عند الامام الباقر لأنه من بيت النبوة عليهم السلام، ومما يذكر عن جده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب " كرم الله وجهه " قوله: عليكم بالنمط الأوسط فإليه ينزل العالي وإليه يرتفع النازل) ومن عدل الإسلام ما ردّ به الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه على من عاتبه في مساواته بين الناس في العطاء، فقال: (تأمروني أن أطلب النصر بالجور فيمن وليت عليه، والله لا أطور به ما سَمَر سمير، وما أمّ نجم في السماء نجماً، ولو كان المال لي لسويت بينهم، فكيف وإنما المال مال الله)[١٥] ومن كلام أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه في طلبه من رعيته بالعون على إقامة العدل، بإنصاف المظلوم، والأخذ على يد الظالم، قال: (لم تكُن بيعتكم إياي فلتة، وليس أمري وأمركم واحداً، إنّي أريدكم لله. وأنتم تريدوني لأنفسكمّ! أيها الناس أعينوني على أنفسكم، وأيم الله لأنصفن

المظلوم، ولأقود الظالم بخزامته حتى أورده منهل الحق، وإن كان كارهاً). تلك صور من عدالة الإسلام وسماحته ونبذه للعنف وطرقه[١٦]،الحث على الأذان في اذن الوليد - رسول الله صلى الله عليه وآله: يا علي إذا ولد لك غلام أو جارية فأذن في اذنه اليمنى وأقم في اليسرى فإنه لا يضره الشيطان أبدا الإمام عليه السلام: حدثتني أسماء بنت عميس قالت: حدثتني فاطمة عليها السلام لما حملت بالحسن عليه السلام وولدته جاء النبي صلى الله عليه وآله... وأذن في اذنه اليمنى وأقام في اذنه اليسرى... فلما كان بعد حول ولد الحسين عليه السلام وجاءنى النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا أسماء هلمي ابني، فدفعته في خرقة بيضاء، فأذن في اذنه اليمنى وأقام في اليسرى ووضعه في حجره فبكى عنه عليه السلام: إن النبي صلى الله عليه وآله أذن في اذن الحسن عليه السلام بالصلاة يوم ولد الإمام الباقر عليه السلام: إذا ولد لأحدكم... ليحنكه بماء الفرات وليؤذن في اذنه اليمنى وليقم في اليسرى الإمام الصادق عليه السلام: من ساء خلقه فأذنوا في اذنه[١٧]. وكان عليه السلام يحث في دعوته الدائمة للعدل والمساواة، وسيادة القانون على الجميع دون استثناء، إن الفهم الخاطئ للدين ومبادئه وأحكامه، والإحباط الذي يلقاه الشباب نتيجة افتقارهم إلى المثل العليا التي يؤمنون بها في سلوك المجتمع أو سياسة الحكم، والفراغ الديني يعطي الفرصة للجماعات المتطرفة بالعنف والعدوان لشغل هذا الفراغ بالأفكار التي يروجون لها ويعتنقونها. كما أن غياب الحوار المفتوح من قبل علماء الدين لكل الأفكار المتطرفة، ومناقشة الجوانب التي تؤدي إلى التطرف في الرأي يرسخ الفكر المتطرف لدى الشباب. ومن جهة أخرى نرى أن الكثير من دعاة العنف والتطرف هم أنفسهم يفتقدون منهجية الحوار، ويرفضون الدخول في محاورة الآخرين حول معتقداتهم وأفكارهم مما يدفعهم إلى العمل الخاطئ[١٨]. وإلى المؤسسات التعليمية في البلد ولابد من الرجوع إلى الهوية والانتماء وقد يحتاج الفرد إليهما لتنظيم حياته اجتماعيا كالأسرة أو الدولة وهي حاجة إنسانية وعدم مراعاتها إلى سلوك سبيل الشدة والعنف في الدعوة[١٩].

فالحذر الحذر من ترك الأبناء لتربية الشوارع وصدق من قال أرحام تدفع وشوارع تبلع لابد أن يمتلك المربي خصال حميدة يتحلى بها المربون من أمهات وآباء ومعلمين؟ هناك صفات أساسية تلزم كل مرب يباشر التربية والتعليم لأبنائه أو لغيرهم. من ذلك: الحلم والأناة المستنبطة من نهج الامام الباقر عليه السلام: وهما من الصفات التي يحبهما الله ولهما تأثير تربوي كبير، أخرج مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لأشج عبد قيس: "إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة ". الرفق واللين: روى الإمام مسلم: قال

رسول الله صلى الله عليه وآله: "إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطى على العنف وما لا يعطى على سواه ". و ومما يذكر عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب "كرم الله وجهه" قوله: عليكم بالنمط الأوسط فإليه ينزل العالي وإليه يرتفع النازل) ومن عدل الإسلام ما ردّ به الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه على من عاتبه في مساواته بين الناس في العطاء، فقال: (تأمروني أن أطلب النصر بالجور فيمن وليت عليه، والله لا أطور به ما سَمَر سمير، وما أمّ نجم في السماء نجماً، ولو كان المال لي لسويت بينهم، فكيف وإنما المال مال الله)[٢٠] ومن كلام أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه في طلبه من رعيته بالعون على إقامة العدل، بإنصاف المظلوم، والأخذ على يد الظالم، قال: (لم تكُن بيعتكم إياي فلتة، وليس أمري وأمركم واحداً، إنّي أريدكم لله. وأنتم تريدوني لأنفسكمّ! أيها الناس أعينوني على أنفسكم، وأيم الله لأنصفن المظلوم، ولأقودن الظالم بخزامته حتى أورده منهل الحق، وإن كان كارهاً). تلك صور من عدالة الإسلام وسماحته ونبذه للعنف وطرقه، وكان عليه السلام يحث في دعوته الدائمة للعدل والمساواة، وسيادة القانون على الجميع دون استثناء، إن الفهم الخاطئ للدين ومبادئه وأحكامه، والإحباط الذي يلقاه الشباب نتيجة افتقارهم إلى المثل العليا التي يؤمنون بها في سلوك المجتمع أو سياسة الحكم، والفراغ الديني يعطي الفرصة للجماعات المتطرفة بالعنف والعدوان لشغل هذا الفراغ بالأفكار التي يروجون لها ويعتنقونها. كما أن غياب الحوار المفتوح من قبل علماء الدين لكل الأفكار المتطرفة، ومناقشة الجوانب التي تؤدي إلى التطرف في الرأي يرسخ الفكر المتطرف لدى الشباب. ومن جهة أخرى نرى أن الكثير من دعاة العنف والتطرف هم أنفسهم يفتقدون منهجية الحوار، ويرفضون الدخول في محاورة الآخرين حول معتقداتهم وأفكارهم مما يدفعهم إلى العمل الخاطئ[٢١]. وإلى المؤسسات التعليمية في البلد ولابد من الرجوع إلى الهوية والانتماء وقد يحتاج الفرد إليهما لتنظيم حياته اجتماعيا كالأسرة أو الدولة وهي حاجة إنسانية وعدم مراعاتها إلى سلوك سبيل الشدة والعنف في الدعوة[٢٢] فالحذر الحذر من ترك الأبناء لتربية الشوارع وصدق من قال أرحام تدفع وشوارع تبلع لابد أن يمتلك المربي خصال حميدة يتحلى بها المربون من أمهات وآباء ومعلمين؟ هناك صفات أساسية تلزم كل مرب يباشر التربية والتعليم لأبنائه أو لغيرهم. من ذلك: الحلم والأناة: وهما من الصفات التي يحبهما الله ولهما تأثير تربوي كبير، أخرج مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول

الله صلى الله عليه وآله لأشج عبد قيس: "إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة". الرفق واللين: روى الإمام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: "إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطى على العنف وما لا يعطى على سواه ". الوسطية والاعتدال من المصطلحات والمقاصد المنتشرة والمستعملة على ألسنة المعاصرين والمحدثين وفي مجالات واتجاهات مختلفة ومتنوعة، وتكون لهما دلالات شرعية ولغوية وأدبية في كل منها مما لا يهمنا الاتساع في عرضه وتحليله هنا، ونحن لا نرمي إلى أكثر من توظيف هذا الكلام الموجز عن مفهوم الوسطية والاعتدال في نهج آل البيت عليهم السلام، وقد كان استدلال هؤلاء الأئمة الأطهار الواردة لهو دليل واضح على وضعها اللغوي،. إن ما تضمنته هذه المفردة من معلومات هامة عن فكر الإمام الصادق، و منهجه في التعامل مع الفرد والمجتمع، و (العدل) هو مطلق الاعتدال في أمور الدين والدنيا، والمراد هنا الاعتدال في أمور الدين[٢٣]. وأصله القسط بمعنى العدل اللازم لتمييز الحصص، يقال: أقسط إقساطا أي عدل فهو مقسط، وفي قوله تعالى: (إن الله يحب المقسطين) والاسم منه القسط بالكسر والظاهر ان أصله القسط بمعنى الجور خلاف العدل، وإذا بني من باب الأفعال وجعل الهمزة للإزالة صار بمعنى العدل، ويستعمل بهذه المناسبة في المعاني الكثيرة. و(ما وزعه الله من الأقساط) هو بيان الحصص والفرائض في[٢٤] والعقل والعدل متقاربان لفظا ومعنى، ولابد من سبيل في إيضاح المقصود منهما في خطابات اللغة و الإسلام وبيان الدلالات والتوجيهات والإشارات في طيات هذه المفردة القرآنية النبوية، إن صح القول أو التعبير وكيف صححت مفاهيم خاطئة، وعالجت الآفات والأفكار الهدامة عند الفرد والمجتمع، فلا يبدو لي أن هناك حاجة إلى بيان معنى الوسطية بشكل مفصل، ولكن يكفي أن نشير إلى أن المصطلح الذي نحن بصدده يدل في كلام العرب، وفي مختار القرآن الكريم على اشتقاقات عدة منها: الوسط والأوسط والوسطى، وأوسطهم وهذه المفردات تدل على معان متقاربة تجمع بين معنى العدل والفضل والخيرية والجودة والرفعة والسمو وخيرية الهداية، وشرف الزمان والمكان، كما أنها وردت بمعنى: توسطٌ بين طرفين، أي: بين رغيدتين[٢٥]. وسنبين ذلك فيما ذهب إليه علماء اللغة والتفسير في أمات كتبهم ومصادرهم، لقد ذكرت المعاجم العربية قديما وحديثا هذا المصطلح فعند ابنُ فارس[٢٦]: إن الوسطية مأخوذة من مادة وسط قال في معجمه مقاييس اللغة: «الواو والسين والطاء: بناء صحيح يدل على العدل والنّصَف، وأعدل الشيء: أوسطه ووسطه، ويقولون: ضربتُ وَسَطَ رأسه

بفتح السين، ووَسْط القوم بسكونها، وهو أوسطهم حَسَباً، إذا كان في واسطة قومه وأرفعهم محلا[٢٧]:

المبحث الثالث

نماذج تطبيقية من حكم ووصايا الإمام الباقر عليه السلام

تمتاز الأخلاق الإسلامية بأنها داخلة تحت عناوين الفقه، فتنتظم في الواجب والمحرم، والمستحب والمكروه، والمباح. والخصال ليست كماليات اجتماعية يلذ للبعض أن يتحلى بها أو يتخلى عنها البعض، إنما هي تكاليف وأرزاق معنوية، من وجد نفسه أنه موهوب شيئا منها جهد نفسه في المحافظة عليها وتنميتها وإخلاص النية فيها [٢٨]. لابد في أخلاق الإسلام من النية الصالحة، فالتوبة توبة إذا كانت بنية الإقلاع عن المعاصي خشية من الله "تعالى" وإقرارا بوجوب طاعته "عز وجل"، وبنية نصوح تحقق عدم العودة إلى الذنب. والكرم لا يكون كرما حقا حتى يكون بنية الاستجابة لأمر الله " عز شأنه "، وطلب مرضاته والتخلق بأخلاقه، والاستنان بسنة حبيبه المصطفى صلى الله عليه وآله وأهل بيت العصمة والطهارة "سلام الله عليهم". وكذا مساوئ الأخلاق.. لا ينتهي عنها المؤمن ولا يبتعد إلا لأنها واقعة في سخط الله "سبحانه"، ومخالفة لسيرة الأنبياء والأوصياء " صلوات الله عليهم " إذا أردنا أن نستجمع خصائص الأخلاق الإسلامية قلنا: إنها منطوية على المعاني الإلهية والخصائص الإنسانية الشريفة التي يرضاها الله "جلّ جلاله"، والتي تأخذ روى عن الامام الباقر عن علم الله وعلم رسوله أبى جعفر محمد بن علي عليه السلام (في طوال هذه المعاني) وصيته عليه السلام لجابر بن يزيد الجعفي روي عنه عليه السلام أنه قال له: يا جابر اغتنم من أهل زمانك خمسا: إن حضرت لم تعرف. وإن غبت لم تفتقد. وإن شهدت لم تشاور. وإن قلت لم يقبل قولك. وإن خطبت لم تزوج. واوصيك بخمس: إن ظلمت فلا تظلم، وإن خانوك فلا تخن. وإن كذبت فلا تغضب. وإن مدحت فلا تفرح. وإن ذممت فلا تجزع. وفكر فيما قيل فيك، فإن عرفت من نفسك ما قيل فيك فسقوطك من عين الله عزّ وجل عند عضبك من الحق أعظم عليك مصيبة مما خفت من سقوطك من أعين الناس. وإن كنت على خلاف ما قيل فيك، فثواب اكتسبته من غير أن يتعب بدنك. واعلم بأنك لا تكون لنا وليا حتى لو اجتمع عليك أهل مصرك وقالوا: إنك رجل سوء لم يحزنك ذلك، ولو قالوا: إنك رجل صالح لم يسرك ذلك

ولكن اعرض نفسك على كتاب الله، فإن كنت سالكا سبيله زاهدا في تزهيده راغبا في ترغيبه خائفا من تخويفه فاثبت وأبشر، فإنه لا يضرك ما قيل فيك. وإن كنت مبائنا للقرآن فماذا الذي يغرك من نفسك. إن المؤمن معني بمجاهدة نفسه ليغلبها على هواها فمرة يقيم أودها ويخالف هواها في محبة الله ومرة تصرعه نفسه فيتبع هواها فينعشه الله[٢٩] ويبد العبد إلى الواقع في معاملات يومية، وتخرجه من أطر النظريات الخيالية والفكر الجامدة، والتوهمات الفاقدة للحياة العملية. فأخلاق الدين ليست كلمات يحسن المرء التكلم بها والتعبير عنها بمنطق جذاب رصين، إنما هي حالات تنبع في القلب وتظهر على الجوارح، وهي مثل سامية مغموسة بالإيمان والتقوى، ومشفوعة بالنية الصادقة السليمة، ومنعكسة على الأقوال والأفعال. وتطبيقا لما سلف على الضيافة - باعتبارها خلقا طيبا كريما - نرى أنها منطوية على الإيمان بالله تعالى واليوم الاخر، جاء في حديث نبوي شريف: من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليكرم ضيفه. وقد بكى الإمام "سلام الله عليه" يوما ثم قال: وعزتك وجلالك، ما أردت بمعصيتي مخالفتك، وما عصيتك إذ عصيتك وأنا بك شاك، ولا بنكالك جاهل، ولا لعقوبتك متعرض، ولكن سولت لي نفسي وأعانني على ذلك سترك المرخى به علي. فأنا الان من عذابك من يستنقذني، وبحبل من أعتصم إن قطعت حبلك عني؟ ! فواسوأتاه غدا من الوقوف بين يديك إذا قيل للمخفين: جوزوا، وللمثقلين: حطوا ! أمع المخفين أجوز، أم مع المثقلين أحط؟ ويلي! كلما طال عمري كثرت خطاياي ولم أتب، أما آن لي أن أستحيي من ربي؟!. ثم بكى عليه السلام وأنشأ يقول شعرا: أتحرقني بالنار يا غاية المنى فأين رجائي، ثم أين محبتي؟! أتيت بأعمال قباح ردية وما في الورى خلق جنى كجنايتي ثم بكى وقال: سبحانك تعطي كأنك لا ترى، وتحلم كأنك لم تعص، تتودد إلى خلقك بحسن الصنيع كأن بك الحاجة إليهم، وأنت يا سيدي الغني عنهم، ثم خر عليه السلام إلى الأرض ساجدا. فما أجدر بالعبد أن يرى نفسه أنه في كل شيء فقير لله "عز وجل"، آيب إليه في كل وقت، وافد عليه على كل حال، لا يرى في راحلته إلا الخطايا، فينزل ضيفا ساغبا ظامئا عند بارئه " جل شأنه"، يائسا مما يملك، آملا واثقا بما عند المضيف الكريم. ولقد أنشأ مولانا الإمام السجاد عليه السلام يقول: وفدت على الكريم بغير زاد من الحسنات والقلب السليم وحمل الزاد أقبح كل شيء إذا كان الوفود على الكريم ولقد كان علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام لا يسافر إلا مع رفقة لا يعرفونه، ويشترط عليهم أن يكون من[٣٠]. وما

ورد عن الامام الباقر عليه السلام انه قال: انما سميت فاطمة بنت محمد الطاهرة لطهارتها من كل دنس...عليها السلام سافر مرة مع قوم فرآه رجل فعرفه، فقال لهم: أتدرون من هذا؟! فقالو: لا، قال: هذا علي بن الحسين عليه السلام. فوثبوا فقبلوا يده ورجله، وقالوا: يا ابن رسول الله ! أردت أن تصلينا نار جهنم لو بدرت منا إليك يد أو لسان، أما كنا قد هلكنا آخر الدهر؟! فما الذي يحملك على هذا؟ فقال: إني كنت قد سافرت مرة مع قوم يعرفونني، فأعطوني برسول الله صلى الله عليه وآله ما لا أستحق به، فإني أخاف أن تعطوني مثل ذلك، فصار كتمان أمري أحب إلي[٣١]. وهكذا عباد الله " يخدمون ضيوفه الكرام في الطاعات، ويستضيفون الناس يعينونهم على ذكر الله وتمجيده واستنزال بركاته، وهاطل رحماته. (ضيافة الله في المدينة المنورة) لقد دعا الله " عز وجل " عباده الى ساحة طاعته، ومأدبة ضيافته.. وهي الضيافة التي تقتضي من العبد أن يعظم فيها[٣٢]. صوتك تشتاقه ملائكتي فحسبك الصوت قد سمعناه وكان الأمام زين العابدين عليه السلام إذا قام في صلاته غشي لونه لون آخر، وكان قيامه في صلاته قيام العبد الذليل، بين يدي الملك الجليل.. وكان إذا توضأ للصلاة اصفر لونه، فيقول له اهله: ما الذي يغشاك؟ !فيقول: أتدرون لمن أتأهب للقيام بين يديه؟ ! وإذا كان أحد الشعراء يفتخر في لقائه بالله " تعالى " في الصلاة، وضيافته عنده في كل وقت فيقول: أنا ألقاه متى وحين أحب.. فإن معرفة آداب اللقاء وما يليق بالضيف في محضر القدس أمر مهم، لأن المضيف هو الله الملك الجبار، القادر المقتدر " سبحانه جل وعلا ". ومن هذه الآداب: التلبية لندائه "تعالى"، إذا قال المؤذن: "الله اكبر" يفزع العبد إلى الصلاة وقد استعد لها بالوضوء[٣٣] وفي بيان أوجه الصوم قال الإمام زين العابدين عليه السلام: وأما صوم الإذن: فإن المرأة لا تصوم تطوعا إلا بأذن زوجها، والعبد لا يصوم إلا بإذن سيده، والضيف لا يصوم تطوعا إلا بإذن وفي بيان أوجه الصوم قال الإمام زين العابدين عليه السلام: وأما صوم الإذن: فإن المرأة لا تصوم تطوعا إلا بأذن زوجها، والعبد لا يصوم إلا بإذن سيده، والضيف لا يصوم تطوعا إلا بإذن حيث ضيافة الأجداث، وحيث الأهوال والمساكن الرهيبة. وكل ذلك يراد له دعاء صادق، يعقبه عمل صالح.. وكل ذلك يفتقر إلى توبة نصوح وندامة، ونفس لوامة. فلنتأمل بقلوبنا وعقولنا وأسماعنا في ما يقوله عليه السلام: اللهم صل على محمد وآله، واكفنا طول الأمل، وقصره عنا بصدق العمل، حتى لا نؤمل استتمام ساعة بعد ساعة، ولا استيفاء يوم بعد يوم، ولا اتصال نفس بنفس، ولا لحوق قدم بقدم. وسلمنا من

غروره، وآمنا من شروره، وانصب الموت بين أيدينا نصبا، ولا تجعل ذكرنا له غبا[٣٤]. واجعل لنا من صالح الأعمال عملا نستبطئ معه المصير اليك، ونحرص له على وشك اللحاق بك، حتى يكون الموت مأنسنا الذي نأنس به، ومألفنا الذي نشتاق إليه، وحامتنا التي نحب الدنو منها. فإذا أوردته علينا، وأنزلته بنا، فأسعدنا به زائرا، وآنسنا به قادما، ولا تشقنا بضيافته، ولا تخزنا بزيارته، واجعله بابا من أبواب مغفرتك، ومفتاحا من مفاتيح رحمتك. الكعبة فكانوا يطوفون بها عراة ويقولون: لا نطوف عليها في ثياب أصابتنا فيها المعاصي، وكلما طافوا بها شوطا سجدوا لها، فظهر كفرهم بسبب ذلك ظهورا لا يتمكنون من دفعه، فكأنهم شهدوا به على أنفسهم، وبهذا صح المجاز على سبيل التمثيل في هذه الآية، ونحوها قوله تعالى: (ثم استوى إلى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين) إذ لا قول هنا من الله - عز وجل - ولا منهما قطعا، وإنما المراد أنه سبحانه شاء تكوينهما فلم يمتنعا عليه وكانتا في ذلك كالعبد السامع المطيع يتلقى الامر من مولاه المطاع. وعلى هذا جاء قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ضرورة أن القول في هذه الآية ليس على حقيقته، والحقيقة ما اقتبسه الامام زين العابدين عليه السلام من مشكاة هاتين الآيتين، إذ قال في بعض مناجاة ربه عزّ وجل: (وجرى بقدرتك القضاء ومضت على إرادتك الاشياء فهي بمشيئتك دون قولك مؤتمرة، وبإرادتك دون نهيك من زجرة) ومما جاء في القرآن الحكيم من المجاز على سبيل التمثيل قوله عزّ من قائل: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ﴾ ٢ الآية، لان عرضها على السماوات والارض والجبال لم يكن على ظاهره، وكذلك إباؤها وإشفاقها وما هو إلا مجاز على سبيل التمثيل والتصوير تقريبا للاذهان وتعظيما لأمر الامانة وإكبارا لشأنها، والامانة هنا هي طاعة الله ورسوله في أوامرهما ونواهيهما كما يدل عليه سياق الآية وصحاح السنة في تفسيرها، ولو أردنا استقصاء ما جاء في الذكر الحكيم والفرقان العظيم من هذه الامثال، لطال بنا البحث وخرجنا به عن القصد، وحسبك توبيخه - عزّ وجل - لأهل الغفلة من قوارع القرآن الحكيم المستخفين بأوامره وزواجره إذ يقول وهو أصدق القائلين: (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الامثال نضربها للناس[٣٥]. ومثله قول الامام عليه السلام في خبر آخر: "إنما عليك مشرقك ومغربك". ومن ذلك ما

ورد عن الامام زين العابدين عليه السلام في دعائه عند الصباح والمساء: "وجعل لكل واحد منهما حدا محدودا، وأمدا ممدودا، يولج كل واحد منهما في صاحبه، ويولج صاحبه فيه بتقدير منه للعباد" أراد صلوات الله عليه بهذا البيان البديع التعريف بما لم تدركه العقول في تلك العصور وهو كروية الارض، وحيث أن هذا المعنى كان بعيدا عن أفهام الناس لانصراف العقول عن إدراك ذلك، تلطف - وهو الامام العالم بأساليب البيان - بالإشارة إلى ذلك على وجه بليغ، فإنه - عليه السلام - لو كان بصدد بيان ما يشاهده عامة الناس من أن الليل ينقص تارة فتضاف من ساعاته إلى النهار، وينقص النهار تارة اخرى فتضاف من ساعاته إلى الليل، لاقتصر على الجملة الاولى: "يولج كل واحد منهما في صاحبه " ولما احتاج إلى ذكر الجملة الثانية: " ويولج صاحبه فيه " إذن فذكر الجملة الثانية إنما هو للدلالة على أن إيلاج كل من الليل والنهار في صاحبه يكون في حال إيلاج صاحبه فيه، لان ظاهر الكلام أن الجملة الثانية حالية، ففي هذا دلالة على كروية الارض، وان إيلاج الليل في النهار - مثلا - عندنا يلازم إيلاج النهار في الليل عند قوم آخرين. ولو لم تكن مهمة الامام - عليه السلام - الاشارة إلى هذه النكتة العظيمة لم تكن لهذه الجملة الاخيرة فائدة، ولكانت تكرارا معنويا للجملة الاولى. ولقد اقتصرنا في بيان إعجاز القرآن على هذه النواحي، وفي ذلك كفاية ودلالة على أن القرآن وحي إلهي، وخارج عن طوق البشر[٣٦] نحن فعلنا ببني فلان، ونحن سبينا آل فلان، ونحن خربنا بلد كذا، لا يريد أنهم باشروا ذلك، ولكن يريد هؤلاء بالعذل، وأولئك بالافتخار: أن قومهم فعلوا كذا. وقول الله عز وجل هذه الآيات انما هو توبيخ لاسلافهم، وتوبيخ العذل على هؤلاء الموجودين، لان ذلك هو اللغة التي نزل بها القرآن، ولان هؤلاء الاخلاف أيضا راضون بما فعل أسلافهم، مصوبون لهم، فجاز أن يقال: أنتم فعلتم، إذ رضيتم قبح فعلهم. ولا بد أيضا من معرفة خصوصيات الالفاظ وأسرار إختياراتها لمواقعها. قد روي: انه لما نزل قوله تعالى: إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم قال إبن الزبعري: فنحن نعبد الملائكة واليهود تعبد عزيرا، والنصارى تعبد عيسي عليه السلام فأخبر النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا ويل امه، أما علم إن ما لما لا يعقل ومن لمن يعقل الخ. هذا، ولقدرة اللغة العربية على تحمل المعاني الدقيقة والعميقة، نجد أن الله تعالى قد اختارها لتكون لغة القرآن، وقد نوه بذلك، ووجه إليه الانظار والافكار، ودعا إلى استخلاص المعاني الدقيقة من كتابه الكريم جاء عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: ما يعبأ بمن يؤم هذا البيت إذا لم يكن فيه

ثلاث خصال: ورع يحجزه عن معاصي الله، وحلم يملك به غضبه،[٣٧] وفي فضل تلاوة القرآن. منها: ما عن الامام الباقر عليه السلام. قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من قرأ عشر آيات في ليلة لم يكتب من الغافلين، ومن قرأ خمسين آية كتب من الذاكرين، ومن قرأ مائة أية كتب من القانتين، ومن قرأ مائتي آية كتب من الخاشعين، ومن قرأ ثلاثمائة آية كتب من الفائزين، ومن قرأ خمسمائة أية كتب من المجتهدين، ومن قرأ ألف آية كتب له قنطار من تبر... " ومنها: ما عن الامام الصادق عليه السلام. قال: " القرآن عهد الله إلى خلقه، فقد ينبغي للمرء المسلم أن ينظر في عهده، وأن يقرأ منه في كل يوم خمسين آية ". وقال: " ما يمنع التاجر منكم المشغول في سوقه إذا رجع إلى منزله أن لا ينام حتى يقرأ سورة من القرآن فيكتب له مكان كل آية يقرأها عشر حسنات، ويمحى عنه عشر سيئات؟[٣٨]. والحمد لله في البدء والختام

الخاتمة والتوصيات:

بعد الانتهاء من هذا البحث ومن هذه المناقشة والمحاورة الهادفة وبعد أن ألقينا نظرة سريعة على منهج الإمام الباقر عليه السلام وكيف ظهرت مروياته واخباره وحكمه في العبادة والسيرة، ولعل من المفيد استخلاص أهم النتائج التي خرج بها هذا البحث، ونحن في نهاية الجولة العلمية التي أتاحت للقارئ فرصا عديدة للإطلاع عليها، وبيان الجوانب العلمية في آثار الإمام عليه السلام تحقيقا وتحليلا، الأمر الذي قد يجعل المتلقي يخرج بفكرة واضحة حول الموضوع الذي من أجله جاء هذا البحث. لذا نثبت أبرز أحكامه في هذه الفوائد والنتائج إن شاء الله: فبعد كتابة هذا البحث ظهرت لي النتائج الآتية:- نهجه عليه السلام من ثوابت الإسلام الذي عني بحفظ الضروريات الخمس: الدين والنفس والعقل والعرض والمال، ورتب الأحكام المناسبة لها.- غياب العلم الشرعي وتفشي الجهل سبب عظيم لوقوع الفتن وانتشارها، فوجبت العناية بطلب العلم الشرعي من مصادره الأصلية الصحيحة.- عالمية رسالة الإسلام للناس أجمعين، كما أوضحت الدراسة أيضا أن الإسلام هو دين الله الذي فطر الناس عليه جميعًا، ومن انحرف عنه فقد حاد عن الصراط المستقيم فلا سعادة له ولا أمان إلا بالإسلام.. لقد مارس الإمام الباقر عليه السلام الحل العملي، لأسباب كان من أهمها قوة الحجة، وهو صاحب المنهج الوسطي الصحيح المعتدل والإسلام يأمر بالحوار والاعتدال والوسطية ويدعوا إلى التفاهم والتعارف والتسامح والتعايش السلمي وهذا

نهج آل البيت عليهم السلام، ويحذر الإسلام أمته من الانحراف نحو التشدد في الاعتقاد أو العمل، رسم البحث في شكله الأخير التوجيه العام للنهج المعتدل المتعلقة بحماية الأسرة في ضوء التعايش والحب والمودة وزيادة الوعي وتعزيز القدرات والحمد لله في البدء والختام.

هوامش البحث

(١) مسند الرضا لداود الغازي (ص: ١٣) الفوائد الرجالية لبحر العلوم (١٤٤/٥) سبل الهدى والرشاد للصالحي الشامي (٤٤٦/١)

(٢) الأعلام ٦ /٢٧٠، ٢٧١، والتهذيب ٣٥٠/٩.

(٣) سبل الهدى والرشاد للصالحي الشامي (٤٤٧/١).

(٤) أدب الضيافة (مجلد واحد) (ص: ٣١)

(٥) أخرجه أحمد ٢ / ٣٢٧. (٢) في بشارته. (٣٣٨).

(٦) ومعجم رجال الحديث (٣١٢/٦)

(٧) أدب الضيافة (مجلد واحد) (ص: ٢٠) أدب الضيافة (مجلد واحد) (ص: ١٠٥) بحار الأنوار ٧٥: ٤٥٦ - عن كتاب زهد النبي صلى الله عليه وآله للشيخ جعفر بن أحمد بن علي القمي، بإسناده إلى ابن عباس. (٢) مكارم الأخلاق: ٤٦٤.

(٨) الأعلام خير الدين الزركلي (٩/ ٢٥٥)

(٩) الإمام جعفر الصادق عليه السلام (ص: ١٥٤)

(١٠) علل الشرائع، للشيخ الصدوق: ٢٣٥

(١١) مناقب آل أبي طالب، لابن شهر آشوب ٤: ١٤

(١٢) بحار الأنوار ٤٦: ٧٤. عن إعلام الورى ١: ١٥٣ والإرشاد ٢٧١.

(١٣) أوائل المقالات (مجلد واحد) (١/ ٢٩٠)

(١٤) في القرآن للشيرازي (ص: ١٥٧) {ينابيع المودّة: الصفحة ٥١٥}

١٥ رواه البخاري (٦٠٢٤) ومسلم ٢١٦٥

(١٦) ميزان الحكمة (١/ ١٢١)

(١٧) وسائل الشيعة: ٤ / ٦٧٢ باب ٤٦.

(١٨) الإرهاب المفهوم والأسباب وسبل العلاج - (١ / ٣٢)

(١٩) موسوعة الدفاع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - (١٧٦/٤)

(٢٠) رواه البخاري (٦٠٢٤) ومسلم ٢١٦٥
(٢١) الإرهاب المفهوم والأسباب وسبل العلاج - (٣٢/١)
(٢٢) موسوعة الدفاع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - (١٧٦/٤).
(٢٣) اللمعة البيضاء- التبريزي الأنصاري (٢٦٧/٢)
(٢٤) اللمعة البيضاء- التبريزي الأنصاري (١٧٦/٣)
(٢٥) تاج العروس :٣٦/٩
(٢٦) مقاييس اللغة :١٠٨/٦
(٢٧) اساس البلاغة :٣٣٣/٢ وينظر البيان والتبين :١٥٣/٣،شمس العلوم :١١ /٧١٥٦
(٢٨) أدب الضيافة (مجلد واحد) (ص: ٨٥)
(٢٩) تحف العقول (مجلد واحد) (٢/ ٨٧)
(٣٠) أدب الضيافة (مجلد واحد) (ص: ٣١)
(٣١) علل الشرائع، للشيخ الصدوق: ٢٣٥ (العوالم ١١: ٨٢ عن مصباح الأنوار)،(٣١).
(٣٢) مناقب آل أبي طالب، لابن شهر آشوب ٤: ١٤
(٣٣) بحار الأنوار ٤٦: ٧٤. عن إعلام الورى ١: ١٥٣ والإرشاد ٢٧١.
(٣٤) أوائل المقالات (مجلد واحد) (١/ ٢٩٠)
(٣٥) البيان في تفسير القرآن (١/ ٨٦)
(٣٦) الصحيح من سيرة النبي(صلى الله عليه وآله) (٤/ ٤١٥)
(٣٧) أدب الضيافة (مجلد واحد) (ص: ٢٤)
(٣٨) البيان في تفسير القرآن (١/ ٢٦).

قائمة المصادر والمراجع

وخير ما نبتدئ به القرآن الكريم.

- الأعلام: خير الدين الزركلي، بيروت، ١٣٨٩ هـ.
- تاج العروس من جواهر القاموس: محمد مرتضى الزبيدي ج ٧ تح. عبد السلام هارون، الكويت ١٩٦٥م.
- تاريخ أسماء الثقاة: أبو حفص، احمد بن أيوب البغدادي تح صبحي السامرائي، الدراسة السلفية - الكويت، ط١، ١٩٨٤م.

- التاريخ الكبير: محمد بن إسماعيل البخاري، مكتبة الرشيد - الرياض، ط ١، ١٩٩٩م.
- تهذيب اللغة: أبو منصور، محمد بن احمد الأزهري، ٣٧٠هـ تعليق عمر سلامي، دار أحياء التراث العربي، بيروت.
- الروض الأنف في شرح السيرة النبوية: أبو القاسم، عبد الرحمن بن احمد السهيلي، ت ٥٨١ هـ، دار أحياء التراث العربي ط١ ١٤١٢هـ.
- الزاهر في معاني كلمات الناس: محمد بن قاسم الأنبا ري ت ٣٢٨ هـ تح د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة – بيروت ط١ ١٩٩٢ هـ.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: إسماعيل بن حماد الجوهري تح، احمد عبد الغفور عطار، بيروت، ط١٩٧٩/٢م.
- لسان العرب: ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم)، المجلد الأول، دار صادر ودار بيروت: بيروت، ١٩٥٥م/١٣٧٤ هـ.
- الإرهاب في العالمين العربي والغربي: التل (أحمد يوسف)، عمان - الأردن، ط ١، ١٩٩٨م

١٢ وسائل الشيعة (آل البيت) ـ الجزء١٢ مصدر الكتاب: موقع يعسوب

الأمة الإسلامية من التبعية إلى الريادة : المصدر: موقع شبكة مشكاة الإسلامية

- الإمام جعفر الصادق عليه السلام مصدر الكتاب: موقع يعسوب، دور وسائط الإعلام في مواجهة التطرف والإرهاب، الجاسر (عبد الله) بحث منشور في "تحديات العالم العربي في ظل المتغيرات الدولية"، أعمال المؤتمر الدولي الثاني الذي نظمه مركز الدراسات العربي الأوروبي، القاهرة من ٢٥-٢٧ /١٩٩٤/١م، مركز الدراسات العربي الأوروبي، باريس ١٩٩٤م، ص ٤٥٥-٤٦٤.
- الإمام علي عليه السلام (مجلد واحد) مصدر الكتاب: موقع يعسوب
- تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم: المؤلف / الشيخ العالم بدر الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن سعد الله ابن جماعة الكناني المتوفى سنة ٧٣٣هـ عدد الأجزاء /١.
- تعقيب في "تحديات العالم العربي في ظل المتغيرات الدولية" الحسيني (السيد محمد)، أعمال المؤتمر الدولي الثاني الذي نظمه مركز الدراسات العربي الأوروبي، القاهرة من ٢٥-١٩٩٤/١/٢٧م، مركز الدراسات العربي الأوروبي، باريس ١٩٩٤م، ص٤٧٠-٤٧٨.
- دور المدرسة في مقاومة الإرهاب والعنف والتطرف: المؤلف: عبد الله بن عبد العزيز اليوسف،العنف المجتمعي، دار كنوز الأردن ٢٠١٢ اسماعيل محمد الزيود بيروت دار القلم.
- سيرة الأمام علي بن أبي طالب عليه السلام بيروت دار الرسالة ٢٠١٢.